كتاب

الالمام

بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الاسلام

تأليف

احمد بن علي بن عبد القادر
ابن محمد المقريزي

(طبع بمطبعة التأليف بمصر سنة ١٨٩٥ ميلادية)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآلهِ وصحبه أجمعين (وبعد) فهذه جملة من اخبار الطائفة القائمة بالملة الاسلامية يبلاد الحبشة المجاهدين في سبيل الله من كفر به وصدّ عن سبيله تلقيتها بمكة شرّفها الله تعالى ايام مجاورتي بها في سنة تسع وثلاثين وثمانمئة من العارفين بأخبارهم والله أسألهُ التوفيق الى سواء الطريق بمنهِ وكرمهِ

ذكر بلاد الحبشة

(اعلم) ان بلاد الحبشة اوّلها من جهة المترق المائل الى جهة الشمال بحر الهند المار من باب المندب الى بلاد اليمن وفيها يمرُّ نهرٌ حلو يقال له سيحون يرفد نيل مصروجهة الحبشة الغربية ينتهي لى بلاد التكرور مما يلي جهة اليمين واوّلها مفازة بمكان يسمى وادي بركة يتوصل منه الى سحبرت وكانت سحبرت مدينة المملكة في القديم ويقال لها اخشرم ويقال لها ايضاً نهر فرتا وبها كان النجاشي ثم اقليم امحزا وهو الآن مدينة المملكة وتسمى ايضاً مرعدي ثم اقليم شاوه ثم اقليم داموت ثم اقليم لامنان ثم اقليم السهنو ثم اقليم الزنج ثم اقليم عدل الامراء ثم اقليم حماسا ثم اقليم باريا ثم اقليم الطراز الاسلامي الذي يقال له الزيلع ولكل اقليم من هذه الاقاليم الاثنى عشر ملك والكل من تحت يد الحطي ومعناهُ بالعربية

السلطان وتحت يده تسعة وتسعون ملكاً وهو تمام المائة الا ان بلادهم غير مشهورة عندنا وجميع بلاد الحبشة تزرع على المطر في السنة مرتين فيحصل لهم في السنة الواحدة مغلان وان كثر عندهم نزول المطر وقعت الصواعق وعندهم اشجار كثيرة منها ما تظل الواحدة منهنّ مائتي فارس فمن اشجارهم شجر الابنوس وعندهم القنا وهو نوعان صامت ومجوَّف ولهم منابت لا تعرف بأرض مصر ولا الشام ولا العراق وعندهم معدن الحديد ومعدن الذهب و يوجد في بعض بلادهم معدن فضة وتعظم عندهم الحيات بحيث تقوم الحية بأعلى الجبل فتصير في الجوّ شبه قوس قزح في عظمها لا في اللون . اخبرني ثقة انه شاهد ذلك وعندهم سحرة يمنعون الريح ان تهبّ فيأمر الحطي بهم ان يضربوا فلا يزالون يضربون حتى تهب الريح فيذرُّوا عليها غلالهم وعندهم دجاج الحبش وهو برّي ولهم دجاج مائي يخرج هو والبط من بركة ماء في اقليم هدية من بلاد الزيلع وهو يتولد من هذا الماء ولابد للحبشة من مطران يوليه بطريق النصارى اليعاقبة بمصر بعد سؤال الحطي لسلطان مصر في ذلك بكتاب يبعثه مع مرسله صحبة هدية فيتقدم البطريق بتعيين مطران لهم والحبشة قوم يدينون بالنصرانية من قديم ويعتقدون مذهب اليعقوبية وهم يتشددون في دياناتهم تشدداً زائداً ويعادون من خالفهم من سائر الملل اشد عداوة ويعادون الطائفة الملكية من النصارى بحيث اخبرني من دخل منهم الى بلاد الحبشة انه اظهر بها انه يعقوبي خوفاً من القتل لو علموا انه ملكي والحبشة تسكن بيوتاً من قش تطلى بأحشاء البقر ويأكلون اللحم نيئاً حتى لقد اخبرني من شاهد الحطي داود بن سيف ارعد يأكل كرش بقرة نيئاً وما فيه من

بقايا الفرث يسيل على حنكه وشاهد رجلاً يأكل دجاجة وهي تصيح وهم عراة الابدان لا يكادون يعرفون لبس المخيط بل يرتدون و يتزرون في اوساطهم وليس للحطي ديوان لكنه اذا خرج للغزو امر جنده فالقى كل منهم حجرًا في موضع يعينه لذلك فاذا رجع من غزواته اخذ كل واحد من العسكر حجرًا فما فضل من الحجارة علموا به عدة من هلك منهم

فلما ملك الحطي داود بن سيف ارعد سنة اثنتي عشرة وثمانمائة أُقيم بعده ابنه تادرس فهلك سريعاً وأُقيم بدله اخوه اسحاق بن داود ابن سيف ارعد ورأيت من يسميه ابرم ففخم امره وذلك ان بعض المماليك الجراكسة ممن كان زركاش بديار مصر قدم عليه واقام عنده وعمل له زردخانات عظيمة تشتمل على آلات السلاح من السيوف والرماح والزرديات ونحو ذلك وكانوا من قديم انما سلاحهم الحراب يرمون بها

وقدم عليه من امراء الدولة بمصر شخص يقال لهُ الطنبغا مفرق ترقى حتى ولي بعض بلاد الصعيد ثم فرَّ اليه وكان يعرف من ابواب اللعب بآلات الحرب ومن انواع الفروسية اشياء فحظي عند الحطي وعلم عساكره رمي النشاب واللعب بالرمح والضرب بالسيف وعمل لهم النقط فعرفوا ساعات الحروب

وقدم عليهِ أيضاً من قبط مصر نصراني يعقوبي يعرف بفخر الدولة فرتب لهُ المملكة وجبى لهُ الاموال فصار ملكاً له سلطان وديوان بعد ما كانت مملكتهُ ومملكة آبائه همجاً لا ديوان لها ولا ترتيب ولا قانون فانضبطت عنده الأُمور وتميز زيه عن رعيته بالملابس الفاخرة بعد ما كان داود بن سيف ارعد يخرج عريانًا وقد عصب رأسه بعصابة خضراء

فصار اسحاق يمر في موكب جليل بشارة الملك حتى لقد أخبرني من رآه وهو راكب فرسه وقد مرَّ في موكبه وبيده اليمنى صليب من ياقوت احمر قد قبض عليه بكفه ووضعها على فخذه وطرفا الصليب بارزتان عن يده بروزاً كثيراً

فلما تحضرت دولته وقويت شوكته وسوست اليه شياطينه ان يأخذ ممالك الاسلام فاوقع بمن تحت يده في ممالك الحبشة من المسلمين وقائع شنيعة طويلة قتل فيها وسبى واسترق عالمًا لا يحصيه الاَّ خالقهُ سبحانه وزالت دولة المسلمين من هناك كما يأْتي ذكره ان شاء الله تعالى ثم كتب الى ملوك الافرنج يحثهم على ملاقاته لازالة دولة الاسلام وواعدهم على ذلك واَخذ في تمهيد ما بينه وبين البلاد الاسلامية واستجلاب العربان اليه فعاجله الله تعالى بنقمته واهلكهُ عقيب ذلك في ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين وثماني مائة

وسلط على أُمحرة الملك جمال الدين بن سعد الدين فاوقع بهم وقائع وافنى منهم أُمماً واَسر منهم عوالم ملأَت اقطار الارض يمناً وهنداً وحجازاً ومصراً وشاماً وروماً

وقد أُقيم بعد اسحاق المذكور ابنه اندراوس فهلك بعد اربعة اشهر من ولايته واقيم بعده عمه حربناي بن داود بن سيف ارعد فلم تطل ايامه وهلك في شهر رمضان سنة اربع وثلاثين فاقيم عوضه سلمون بن اسحاق بن داود فهلك سريعاً فكان للحبشة في سنة او نحوها اربعة ملوك وتوالت حروب المسلمين فيهم تقتل وتاسر وتسبي وتحرق وتغنم ثم فشا في عامة بلاد الحبشة وباء عظيم شنع في سنة تسع وثلاثين وثمانمائة وهلك

فيه الحطي وعالم عظيم حتى قيل انه قد خلت البلاد لموت اهلها والله يرث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

﴿ ذكر بلاد الزيلع ﴾

(اعلم) ان بلاد الزيلع كما تقدم من جملة اراضي الحبشة وعرفت بقرية في جزيرة بالبحر يقال لها زيلع وطول ارض الزيلع برًّا وبحرًا نحو شهرين وعرضها اكثر من شهرين الا ان غالبها قفار غير مسكونة ومقدار العمارة مسافة ثلاثة واربعين يوماً طولاً في عرض اربعين يوماً وتنقسم الى سبع ممالك وهي «أُوفات» و«دوارو» و«أرابيني» و«هديه» و«شرخا» و«بالي» و«دارة» ولكل مملكة من هذه الممالك السبع ملك ويتسلط عليهم جميعهم الحطي ملك أمحرة يأخذ منهم القطيعة من المال في كل سنة وهي قماش وغيره وكلها ممالك ضعيفة قليلة المتحصل وفيها المساجد والجوامع التي تقام بها الجمعة والجماعة وعند اهلها محافظة على الدين ويقال لها الجبرت وهي بلاد حارة وبيوتهم من طين وحجر وخشب وليس بها اسواق ولا فخامة لامورهم

ومملكة أُوفات طولها خمسة عشر يوماً في عرض عشرين يوماً كلها عامرة بالقرى والاسعار بها رخيصة اخبرني الشيخ المعمر الاديب الشاعر شهاب الدين احمد بن عبد الخالق بن محمد خلف بن محمد المجاصي المغربي الجوال في الارض رحمه الله قال رأيت بمدينة أُوفات ايام عمارتها الموثر يباع كل عرجون بربع درهم فيه نحو مائة وزة ورأيت اللحم يباع كل طابق وهو ثلاثون رطلاً بدرهم ونصف وملك أُوفات يحكم على الزيلع

وغالب اهلها شافعية المذهب وكثر فيهم لعهدنا الحنفية وكلام اهلها باللغة الحبشية ويتكلمون ايضاً بالعربية ولهذه المملكة عدة مدن وملكها يجلس على كرسي ويركب بالجتر والطبل والزمر وعندهم الفواكه وقصب السكر ولهم منابت لا تعرف بمصر والشام منها شجرة يقال لها جات لا ثمر لها يؤكل ورقها وهي تشبه اوراق شجر النارنج وهي تزيد في الذكاء وتذكر المنسيات وتفرح وتقلل شهوة الاكل والجماع وتقلل النوم ولاهل تلك البلاد في اكل هذه الشجرة رغبة كبيرة لا سيما اهل العلم ويجلب اليها الذهب من داموت وسحام وهما معدنان ببلاد الحبشة وبه معاملتهم

ومملكة دوارو طولها خمسة ايام في عرض يومين واهلها حنفية المذهب ومعاملتهم بالحديد تسمى الواحدة من تلك الحدايد حنكه بفتح الحاء المهملة وضم النون والكاف وهي طول الابره في عرض ثلاثة ارفتباع البقرة بخمسة الاف حنكه والرأس الغنم بثلاثة الاف حنكه وهي مجاورة لأوفات

ومملكة ارابيني طولها اربعة ايام وعرضها كذلك واهلها حنفية وهي تلي دوارو وهم كاهلها في المعاملة وغيرها

ومملكة هدية طولها ثمانية ايام وعرضها تسعة ايام وملكها اكثر الجميع عسكراً وزيهم كزي اهل ارابيني حتى المعاملة واليها تجلب الخدام الخصيان الذين يعرفون بارض مصر بالطواشية واحدهم طواشي فان صاحب امحرة يمنع من خصي العبيد ويشدد في ذلك فاتي بهم السراق الى مدينة وشلو واهلها همج لا دين لهم فتخصى بها العبيد فانه لا يوافق على ذلك في جميع بلاد الحبشة سواهم ثم يحمل من يخصى الى مدينة

هدية فتعاد عليهم المواسي مرة ثانية حتى ينفتح مجرى البول فانه يكون قد انسد بالقيح ثم يعالجون حتى يبرؤا لدرية اهل هدية بذلك وقل من يعيش من الخصيان لانهم يحملون الى هدية من غير علاج

ومملكة شرخا طولها ثلاثة ايام في عرض اربعة ايام واهلها حنفية

ومملكة بالي طولها عشرون يوماً في عرض ستة ايام وهي اكثر بلاد الزيلع خصباً ومعاملتهم بالاعواض غنماً ببقر و بقراً بثياب ونحو ذلك واهلها حنفية

ومملكة دارة طولها ثلاثة ايام في عرض ثلاثة ايام وهي اضعف ممالك الزيلع واهلها حنفية وهم ايضاً يتعاملون بالاعواض وجميع ملوك هذه الممالك انما هم نوّاب عن الحطي لا يقيمهم الا هو ويجاور هذه البلاد ناصع وسواكن ودهلك واهلها مسلمون والسنة ممالك الزيلع لغات مختلفة تبلغ زيادة على خمسين لساناً وكلهم يكتب بالقلم الحبشي وكتابتهم من اليمين الى الشمال وعدة حروف هذا القلم ستة عشر حرفاً لكل حرف سبعة فروع جملة ذلك مائة واثنا عشر حرفاً سوى حروف اخرى مستقلة بذواتها لا تفتقر الى حرف من الحروف المذكورة مضبوطة بحركات متصلة بالحرف لا منفصلة عنه

هكذا كان ترتيب هذه البلاد ومنها ما بقي ومنها ما زال بزوال الدول وقيام دول سواها سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً



ذكر الدولة القائمة بجهاد النصارى من الحبشة

(اعلم) ان هذه الدولة قام بها قوم من قريش فمنهم من يقول هم من بني عبد الدار ومنهم من يقول انهم من بني هاشم ثم من ولد عقيل بن ابي طالب قدم اولهم من الحجاز ونزلوا ارض جبره التي تعرف اليوم بجبرت وهي من اراضي الزيلع واستوطنوها واقاموا بمدينة لوفات وعرف جماعة منهم بالخير فاشتهروا بالصلاح الى ان كان منهم عمر الذي يقال له لشمع ولاه الحطي مدينة اوفات واعمالها فحكم بها مدة طويلة وصارت له بها شوكة قوية وشكرت سيرته حتى مات وترك اربعة اولاد او خمسة ملكوا اوفات من بعده واحداً بعد آخر منهم بزو ومنهم حق الدين الاول حتى كان آخرهم صبر الدين محمد بن نحوي ابن منصور بن عمر ولشمع فملك اوفات في حدود سنة سبعماية من سني الهجرة وطالت مدته

فلما مات قام بعده ابنه علي بن صبر الدين محمد بن عمر ولشمع واشتهر ذكره في البلاد وخرج عن طاعة الحطي ثم عاد اليها فان اهل البادية لم توافقه بل خالفت عليه فولى الحطي سيف ارعد ابنه احمد ويعرف بجرب ارعد بن علي بن صبر الدين محمد بن عمر ولشمع على مدينة اوفات واعمالها وقبض على علي وانزله عنده بمكان هو واولاده فاقام علي صبر الدين عند الحطي نحو ثماني سنين ثم رضي عليه واعاده الى ولايته على مدينة اوفات وطلب ابنه احمد بن علي فملك على اوفات ثانياً وقد سار ابنه احمد الى حرب ارعد الى الحطي فالزمه ان يقيم ببابه فاقام في خدمته وولد له هناك ثلاثة اولاد منهم سعد الدين

محمد ثم ان الحطي رضي عليه وكتب الى ابيه علي يامره ان يوليه موضعاً من اعمال جبرت فامتثل ذلك وولاه عملاً من اعماله فسار الى ذلك العمل واقام به مدة الى ان قتل في بعض حروب رعيته

فقام في موضعه اخوه ابو بكر بن علي وكان احمد حرب ارعد قد ترك بمدينة اوفات ولذا يقال له حق الدين قد اشتغل بطلب العلم وصار مطرح الجانب لاعراض جده علي بن صبر الدين عنهُ وهجره اياه مع معاداة عمه ملا اصفح بن علي لهُ العداوة الشديدة ومقته المقت الزائد ثم انه اخرجه من مدينة اوفات الى بعض اعمالها والزم والي تلك الجهة ان يهنيه ويستخدمه فاخرجه والي الجهة الى جباية مال بعض النواحي فاخذ عند ما صار الى ما وليه في تدبير امره واحكام عمله وجمع الناس عليه حتى قوي جانبه واظهر الخلاف على من ولاه فحار به فانتصر عليه حق الدين وقتله وغنم ما كان معه وضم اليه من كان معه من المقاتلة وبذل لهم المال فقامت قيامة عمه ملا اصفح وكتب الى الحطي يخبره الخبر ويطلب منه النجدة لمحاربته فأمدهُ الحطي سيف ارعد بعسكر يقال ان عدته ثلاثون الفاً فلقيهم حق الدين وقاتلهم قتالاً شديداً ايده الله عليهم حتى قتل منهم خلقاً كثيراً وغنم ما معهم وهزم عمه وقد شهد الوقعة فسار في هزيمته الى الحطي فبعث معه عساكر عظيمة جداً فتلقاهم حق الدين وقاتلهم فقتل عمه ملا اصفح بن علي ابن صبر الدين محمد بن عمر ولشمع واستأصل حق الدين العساكر فلم ينج منهم الا القليل وغنم ما معهم وسار الى مدينة اوفات وبها جده علي بن صبر الدين وقد اشتد حزنه على ولده ملا اصفح فانه كان

اعز اولاده عنده وكان هو القائم بامر الدولة وتدبير الامور وتزايد مع ذلك حنقه على حق الدين وبغضه اياه الا ان ضرورة الحال اقتضت كفه عنه لعجزه عن مقاومته فتأدب حق الدين مع جده واقره على ولاية اوفات فامده عند ذلك بمال حمله اليه وسار حق الدين بمن معه عن اوفات واخرج معه ايضاً اهلها بعيالاتهم ونزل ارض شوه وبنا هناك مدينة سماها وحل وانزل بها اهل ارفات وجعلها دار مملكة فتلاشت من حينئذٍ مدينة اوفات واتضعت حتى خربت وكان حق الدين هذا اول من خالف من اهل بيته على الحطي ملك امحرة من الحبشة الكفرة وخرج عن طاعته وهو اول من استبد منهم بالامر وما زال يحارب الحطي وعساكره ويأسر منهم ويغنم الى ان مات الحطي سيف ارعد

وقام من بعده بامر الحبشة ابنه الحطي داويد وهو داود بن سيف ارعد فاستمر حق الدين على محاربته اياه والله يؤيده بنصره على امحرة بحيث انه كانت له فيهم بضع وعشرون وقعة في مدة تسع سنين آخرها انه سار اليهم وقاتلهم قتالاً شديدا استشهد فيه سنة ست وسبعين وسبعمائة بارض شوة ولم يوجد مع القتلى وكانت مدة سلطته نحو عشر سنين وكان شجاعاً مقداماً قوي النفس عجولاً مهاباً

وقام من بعده اخوه سعد الدين ابو البركات محمد بن علي ابن صبر الدين محمد ولخوي بن منصور بن عمرولشمع فمضى على سيرة اخيه حق الدين في جهاد امحرة الكفرة لكن بتؤدة وسياسة حسنة فكثرت عساكره وتعددت غاراته واتسعت مملكته فقاتل مرة في اثنين

وسبعين فارساً فكسرهم ثم ظفر به العدو بعد ذلك في موضع يقال له
اهبزه وربطوه وساقوه الى كبيرهم فادركه احد فرسانه وقاتل من كان
معه حتى خلصه من ايديهم واركبه فرسه ورده الى اصحابه فجمعهم
وجد في جهاد امحرة ولقي امن مرفي من امراء الحطي وهزمه واسر من
معه حتى ابيع كل عبدين من الاسرى بتفصيله ومضى من فوره الى
زلان وفتح تلك البلاد وغنم اموالها فبلغت حصة السلطان لخاصة نفسه
اربعين الف بقرة فرقها باجمعها على الفقراء والمساكين وعلى العسكر حتى
لم يجد ما ياكله الى ان اطعمته احدى زوجاته وحصل لسليم بن عبان
زوج ابنته اثنتا عشرة الف بقرة فامره ان يخرج منها زكاتها فامتنع
فتغير عليه فارسل الله تعالى عليه الكفرة فاخذوه وما معه فلم يفلت منه
سوى زوجته ابنة سعد الدين بحيلة تداركها الله فيها بلطفه وغزا
ايضاً بلاداً تسمى زمدوة في اربعين فارساً وبها من الكفرة اعداد
لا تحصى فكانت بينهم وبينه قتلة عظيمة نصره الله فيها نصراً عزيزاً
وغنم ما لا يدخل تحت حصر وغزا بالي وامحرة في عشرة امراء مع كل
امير منهم عشرة آلاف وهو في خمسين فارساً وجميع من معه لا يبلغون
عدة امير منهم فعند ما تلاقى الجمعان توضأ هو واصحابه وصلوا ركعتين
وسال الله تعالى النصر وهم يؤمنون على دعائه ثم ركب بمن معه وقاتلهم
فهزمهم الله ونصره عليهم فقتل واسر منهم عدداً لا يحصى بحيث بقيت
رؤوس القتلى ملء الارض لا يجد المار موضعاً يمر به الا عليهم وكان
بينه اذ ذاك وبين بلاده مسافة اثني عشر يوماً فعاد منصوراً غانماً وعاد
مرة من اصحابه رجل يقال له اسد في اربعين فارساً فلقيه امير

من امراء الحطي يقال له زلن حش في خمسين فارساً لابسين آلة الحرب ومعه من العسكر الراكبين الخيل عربا عالم كبير فكان مشهوراً بالقوة والشجاعة فاقتتل الفريقان اعظم قتال واشده فقتل الله اللعين ونصر المسلمين نصراً مؤزراً وغنموا غنائم عظيمة فجمع الحطي امره ونزل الى بلاد المسلمين فلقيه امير اسمه محمد في ستة فرسان ونحو الف راجل فقاتلوا قتالا عظيماً استشهد فيه الامير محمد ومن معه ولم يسلم منهم سوى فارس واحد فجرد الحطي اميرا يقال له باروا فلقيه سعد الدين بنفسه ومعه الفقهاء والفقراء والفلاحون وجميع اهل البلاد وقد تحالفوا جميعاً على الموت فكانت بينهما وقعة شنيعة استشهد فيها من المشايخ الصلحاء اربعمائة شيخ كل شيخ منهم له كازو وتحت يده من الفقراء المساكين عدد عظيم فاستمر القتل في المسلمين حتى هلك اكثرهم وانكسر من بقي ومرّ سعد الدين على وجهه وامحرة في اثره يتبعه حتى التجأ الى جزيرة زيلع في وسط البحر فحصروه بها ومنعوه الماء الى ان دلهم بعض من لا يتق الله على الوصول اليه فلما وصلوا اليه قاتلهم فاصيب في جبهته بعد فقده الماء ثلاثة ايام فخرّ الى الارض فطعنوه فمات رحمه الله وهو يتشهد ويضحك وذلك في سنة خمس وثماني مائة وقد ملك نحواً من ثلاثين سنة وكان رجلاً صالحاً

وفي ايامه مات جده علي بن صبر الدين في سجن الحطى بعد ما قام مسجوناً نحو الثلاثين سنة ولما قتل سعد الدين ضعف المسلمون بموته واستولى الحطي وقومه امحرة على البلاد وسكنوها وبنوا بها الكنائس وخربوا المساجد واوقعوا بالمسلمين وقائع نزل بهم فيها من القتل والاسر

والسبي والاسترقاق ما لا يمكن التعبير عنه مدة عشرين سنة

وكان اولاد سعد الدين قد فروا الى بر العرب وهم عشرة اكبرهم صبر الدين علي فاكرمهم الملك الناصر احمد بن الاشرف اسماعيل ملك اليمن وانزلهم ثم جهزهم وقاد لهم ستة افراس فخرجوا الى موضع يسمى سبارة حتى فتح الله عليهم ولحق بهم عساكر ابيهم فقام بامرهم صبر الدين علي وزحف لقتال امحرة في سبعة من الفرسان سوى المشاة وقاتل في موضع يقال له ذكر امحرة وهم في ثمانين فارساً فهزمهم واستولى على ذلك الموضع وسار الى سرجان وقاتل من هناك وكسرهم وحرق كنائسهم وبيوتهم وغنم من الذهب وغيره ما لا يحصى وما زال ينتصر على امحرة حتى جمعوا له وصاروا في عشرة امراء تحت يد كل امير زيادة على عشرين الفاً ومقدمهم يقال له بخت بقل فملكوا بلاد المسلمين واقاموا بها سنة وصبر الدين بمن معه يفرون من بلد الى بلد وبهم من الجوع والعطش والتعب ما لا يوصف ثم ايده الله وقواه حتى جرّد اخاه محمداً ومعه حرب جوش وغيره من الاعيان في عشرين فرساً الى بلد يقال لها رطوى فقاتلوا امحرة قتالاً عظيماً قتل فيه مقدمهم في عدة من امراء الحطي وقتل من عسكرهم ما لا يحصى وهزموا باقيهم وغنموا غنائم كثيرة وملكوا البلد زماناً ثم سار صبر الدين بنفسه وطلع الى بيت الملك وقاتل امحرة وقتل اميراً كبيراً وحرق بيت الملك واكثر في قتل من هنالك وعاد ثم جرد اخاه الى قلعة بروت ففتحها صلحاً وعاد منصورا ثم جرّد امير اسمه عمرو معه ستة فرسان الى بلاد لجب وامحرة في عدد كالجراد فكانت بينهم وقعة عظيمة قاتل المسلمون فيها قتالا شديداً حتى

ماتوا كلهم وقدا صارت المزاريق تاتيهم كالمطر من كثرتها ثم قطعوا بالسيوف رحمة الله عليهم وشهد صبر الدين مرة وقعة كاد العدو ان ياخذه قبضاً باليد فنجا بفرسه وقد اعترضه واد عرضه نحو عشرة اذرع فوثب بفرسه حتى تعداه وخلصه الله منهم ومازال يلي امر المسلمين الى ان مات على فراشه مبطوناً بعد ثماني سنين في حدود سنة خمس وعشرين وثماني مائة وكانت سيرته مشكورة

فقام بالامر اخوه منصور بن سعد الدين وعضده اخوه محمد وسار الى جدايه وهي دار ملك الحطي وبها صهره فقاتله حتى اخذه اسيراً وقتله في عدة كبيرة فالتجا نحو الثلاثين الفاً الى جبل يقال له مخا فحصرهم فيه زيادة على مدة شهرين يقاتلهم كل يوم حتى كلوا وجاعوا وعطشوا فنادى فيهم يخيرهم بين الدخول في دين الاسلام وبين اللحاق بقومهم فاسلم منهم نحو العشرة آلاف ونزلوا اليه من الصبح الى غروب الشمس وسار من الغد بقيتهم الى بلادهم فغنم من الخيل مائتي فرس عربية واقام عشرة ايام وقد جمع امحرة فاتوه في عدد كالجراد المنتشر من كثرتهم فقاتلهم اشد قتال حتى كلت الفرسان وخيولها من شدة الحرب وقتل عشرة من امراء المسلمين فوقع منصور واخوه محمد في قبضة الحطي اسحاق المدعو ابرم بن داود بن سيف ارعد فكاد يطير من الفرح وقبضهما وسجنهما ووكل بهما وذلك في سنة ثمان وعشرين وثماني مائة لسنتين من ولاية المنصور واستولت النصارى من امحرة على البلاد كما كانوا وقعوا

وعند ما قبض على منصور قام بالامر في الحال اخوه جمال الدين محمد بن سعد الدين وهو ضعيف وقد بقي معه من الامراء

حرب جوش وكان من امراء الحطي فاسلم في ايامه سعد الدين وقدم اليه فصار من اكابر الامراء لقوته وشجاعته وكثرة اتباعه فخرج علي جمال الدين البرابر فوجه اليهم حرب جوش فعرض عليهم الصلح وقد جمعوا له جمعاً فيه سبعة آلاف قوس وسيف فابوا الا محاربته وهو موافقهم من الصبح الى الظهر ثم قاتلهم قتالاً حتى هزمهم الله الى بيوتهم وهو في اقفيتهم فانقادوا لامره ودخلوا في طاعته ودفعوا اليه زكاة اموالهم وعاد مؤيداً ظافراً

ثم بعث حرب جوش الى بلاد بالي في عشرين فرساً فلقي امحرة وهم في عدد عظيم لم يجتمعوا فيما مضى مثله فقاتلهم اشد قتال فانتصر عليهم وعاد فجمع الحطي عساكر كثيرة جداً ونزل جداية فسار اليهم جمال الدين وحاربهم وعاد منصوراً فتوجه امحرة الى بحره وقد استطال الحطي وجمع عليه نحو مائة امير وعزم على ان لا يبقي بالحبشة مسلماً فلقيه جمال الدين في خمسمائة فارس وقد جمع الحطي من الفرسان مالا يحصى كثرة فكانت بين الفريقين وقعة عظيمة فقتل الله امحرة وهزم باقيهم وركب جمال الدين اقفيتهم وهو يتبعهم ثلاثة ايام وهو يقتل ويأسر حتى امتلأت الارض بالقتلى وحرق الكنائس والبيوت وسبا النساء والاولاد وغنم الاموال حتى بلغت عدة الخيول المسبية التي غنمها زيادة على مائة فرس واما الخيول العراة فلا تحصى لكثرتها واقام في هذه الغزوة ثلاثة اشهر

وبعث حرب جوش الى بالي فقتل واسر وسبا مالا ينحصر وغنم غنائم عظيمة حتى صار يعطي لكل فقير ثلاثة رؤوس من الرقيق ومن

كثرتهم ايع الرأس من الرقيق بربطة ورق وبخاتم واحد ورجع منصورًا غانمًا

فسار جمال الدين بنفسه لغزو امحرة في جمع عظيم لم يجتمع لآبائه مثله ومعه الف فارس وهو يقتل ويأسر ويسبي ويغنم والحطي بجموعه هارب منه وهو في طلبهم يتبعهم خمسة اشهر حتى وصل اليه فلم يقابله الحطي وهرب منه الى راس بحر النيل فعاد جمال الدين بغنائم لا تعد ولا تحد

ثم بعث اخاه احمد والامير حرب جوش الى دواروا فاوقعا بامحرة وقائع عديدة واسرا منهم ثلاثة امراء وغنما ستين فرسًا وغنائم كثيرة وعادا باعز نصر

ثم سار جمال الدين بنفسه يقتل ويأسر مسافة عشرين يومًا فتفرقت امحرة في ثلاثة مواضع تريد ان تاخذ بلاد جمال الدين وعياله فعاد راجعًا يريد لقاهم وقطع مسافة عشرين يومًا في سبعة ايام حتى لقيهم ببلاد تسمى هرجاي وقد تعب هو واصحابه تعبًا كثيرًا والعدو مستريح فكانت بينهم وقعة عظيمة ومن كثرة الجموع وشدة القتال اختلط الناس فما كان احد يعرف صديقه من عدوه ثم انزل الله نصره على المسلمين فاخذوا جانبًا من امحرة وانتصر امحرة ايضًا واخذوا جانبًا من المسلمين وغنم كل منهم ما حازه

ثم ثار على جمال الدين بنو عمه وحسدوه وقتلوه في جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين وثماني مائة وله في السلطنة سبع سنين

وكان خير ملوك زمانه دينًا ومعرفة وقوة وشجاعة ومهابة وجهادًا

في اعداء الله تعالى بحيث انه ملك كثيراً من بلاد الحطي واعماله ودخل جماعات من عمال الحطي وولاة اعماله في طاعته وقتل واسر من الكفرة ما لا يدخل تحت حصر حتى امتلأت بلاد الهند واليمن وهرمز والحجاز ومصر والشام والروم والعراق وفارس من رقيق الحبشة الذين اسرهم وسباهم في غزواته وما زال مؤيدا من الله تعالى منصوراً على اعداء الله حتى ختم الله له بالحسنى وكتب له الشهادة وكان يصحب الفقهاء واهل الفقر من الصالحين وينشر العدل في اعماله حتى في اهله وولده ولقد بلغ من عدله ان لعب بعض صغار اولاده ذات يوم مع انداده واترابه من الولدان فضرب صغيراً منهم كسر يده ولم يبلغ جمال الدين حتى مضت مدة فشتد في الانكار على خدمه ان لم يعلموه وطلب اولياء الصغير الذي كسرت يده وعاتبهم على اخفاء هذا عنه وجمع اهل دولته وطلب ابنه الجاني على الصغير في كسر يده ليقتص منه فقام اعيان الدولة وامراؤهم بين يديه يتضرعون اليه في العفو وانهم يرضون اولياء الصغير فلم يفعل وابى الا احضار ولده فاحضره اليه فلما قدمه ليقتص منه ضج الجميع بالبكاء وقام اولياء المكسور وعفوا فلم يرجع الى احد وقدم ابنه اليه واخذ يده بيده ووضعها على حجر وضربها بحديدة فكسرها وهو يصيح ثم اغمي عليه واصوات ذلك الجمع على كثرته قد ارتفعت بالعويل والبكاء رحمة للصغير فكان امراً مهولاً وجمال الدين مع ذلك ثابت وقائل لولده ذق كما اذقت ولد الناس . حدثني بهذا الخبر الثقاة الذين حضروا ذلك المجلس بين يدي جمال الدين وشاهدوه فلم يتجاسر بعد ذلك احد من اهل الدولة ان يمد يده لمال احد بغير

حق ولا استطاع بعدها جليل ولا حقير ان يجني على غيره وكان من شدة مهابته اذا امر بشيء او نهى عنه لا يتعداه احد من امرائه بل يقف الجميع عن امره ونهيه في جميع اعماله خوفاً من شدة سطوته واتقاء عقوبته

مناقبه عديدة ومآثره كثيره وجملة القول فيه ان الله تعالى ايد به الدين واعز بدولته الاسلام والمسلمين وكان من جليل سعادته ان الله تعالى اهلك في ايام دولته طاغية الكفر الحطي اسحاق بن داود ابن سيف ارعد في ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين وثماني مائة

فاقيم بعده اندراوس بن اسحاق فهلك لاربعة اشهر من ولايته وقام بامر امحرة عمه حربناي بن داود بن سيف ارعد فهلك في شهر رمضان سنة اربع وثلاثين بعد اشهر من ولايته فاقيم بعده سلمون ابن اسحاق بن داود بن سيف ارعد فكانت اربعة ملوك في نحو سنة

وفي كل ذلك تعظم فتوحات جمال الدين الجليلة وتتعدد وقائعه العظيمة وتكثر اعماله وعماله وغنائمه واسراه وقتلاه وسباياه تمكيناً من الله تعالى له في الارض وتأيداً له بالنصر ومع هذه الفتوحات العظيمة ولقد اسلم على يديه عالم من امحرة لا يحصى عددهم هداهم الله به وانقذهم من النار بيمن دولته وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

ولما استشهد جمال الدين قام بامر المسلمين من بعده اخوه شهاب الدين احمد بدلاي وما زال يجتهد في تحصيل قاتل اخيه جمال الدين حتى ظفر به وقتله وجرى على سنة اخيه في غزو امحرة وفتح من بلادهم عدة اعمال وقتل طائفة من امرائهم وأحرق البلاد وغنم وقتل واسر

وسبى عالمًا كبيرًا بحيث كثرت الاموال من الذهب والفضة والثياب والدروع في ايدي جماعته وحازوا من الوظايف ما لا يعد وخرب ست كنائس وعدة قرى فاسترد الباقي من ايدي النصارى ورد اليها الف بيت من المسلمين الا انه حدث في ايامه سنة تسع وثلاثين وباء عظيم مات فيه من المسلمين والنصارى عوالم كثيرة جدًّا وهلك الحطي واقاموا بعده صبيًا صغيرًا

هذا والسلطان بدلاي مقيم في بلاد دكر واخوه خير الدين في بلاد ركلة واظهر بدلاي سيرة العدل في مملكته فأمنت الطرقات وانكف الناس عن الظلم من العسكر وغيرهم ورخصت الاسعار في ايامه . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم



ذكر الجانب الجنوبي من الارض

وهو بلاد السودان

بسم الله الرحمن الرحيم

(قال ابن سعيد ما معناه) انا اذا ابتدأنا في بلاد السودان من الغرب فاول ما نجد فيه من المدن التي للسودان العراة المهملين الذين هم كالبهائم وذكر من بلادهم ما اسماؤها اعجمية غير محققة فاضربنا عنها قال ثم منها الى انهار النيل وينابيعه وبطائحه حسبما نقلنا في صدر الكتاب ومن بلاد السودان قاعدة التكرور قال ابن سعيد وهي اعلى جانبي النيل حيث الطول (نرح) والعرض (نح له) قال والتكرور قسمان قسم حضر ويسكنون المدن وقسم رحالة في البوادي وبلاد النوبة على شرقي النيل وقاعدتهم مدينة دنقله وبلاد البجه بين بحر القلزم وبين بحر النيل وبينهم وبين النوبة جبال منبعة وبلاد زغاوة تحاذي بلاد النوبة على ضفة النيل من الغرب وبلاد الحبشة متصلة بالبحر وساحل بلاد الحبشة مقابل لبلاد اليمن وللحبشة مدن كثيرة وبلادهم تتصل بالخليج البربري وليس ببر الحبشة شيء من النخيل وبين عدن وبين زيلع ثلاث مجار وزيلع عن عدن في جهة الغرب بميلة الى الجنوب

(قال ابن سعيد) ان عرض ذنب البحر الهندي من بر المندب الى بر بربر اثمان مجار وجبل المندب هو الفاصل بين بحر الهند الكبير وبين بحر القلزم الذي يخرج منه وهو صغير يمتد اثنى عشر ميلاً من الشرق الى الغرب بانحراف الى الشمال والبحر يضيق هناك حتى يرى الرجل

صاحبه من البر الآخر و يقولون هو قدر مائتي سهم و يسمي المسافرون هذا المكان باب المندب وهو حيث الطول ثمان وستون درجة ونصف درجة والعرض احدى عشرة درجة ودقائق ولا بد للمراكب من دخولها وخروجها منه واذا فارق باب المندب ياخذ في الاتساع والزيادة قليلا قليلاً الى ان يكون اتساعه عند مدينة عوان فيما بينهما و بين تهامة اليمن ستين ميلاً وعدان حيث الطول ثمان وسبعون درجة والعرض ثلاث عشرة درجة ونصف درجة وهي مشهورة وسكانها حبشة مسلون واذا كان الصحو ظهر منها الجناح وهو جبل عال في البحر ومنها الى جزيرة دهلك جزائر صغار لصاحب اليمن ولصاحب دهلك واكبر هذه الجزائر واشهرها جزيرة كمران وهي مسكونة وقريبة من بر زبيد وفي شرقي عوان وشماليها من المفرض المشهور علايقه فرضة زبيد و بينهما اربعون ميلاً

مدينة غانه . بفتح الغين المعجمة والالف ثم نون وهاء في الآخر من بلاد السودان

وبمدينة غانه محل سلطان بلاد غانه ويدعي انه من نسل الحسن بن علي عليهما السلام والى غانه تسير التجار المغاربة من سلجماسة في برٍّ مقفر ومفاوز عظيمة نحو خمسين يوماً ولا يحضرون منها غير الذهب الاحمر وقد حكى ابن سعيد ان لغانة نيلاً هو شقيق نيل مصر قال ومصبه في البحر المحيط عند طول عشرة ونصف وعرض اربع عشرة فيكون بين مصبه وبين غانة نحو اربع درجات وغانة على ضفتي نيلها

قال وغانة مدينتان احداهما يسكنها المسلمون والاخرى الكفار

﴿ مدينة بريسا قد كتبناها في الجدول حسبما ﴾
﴿ وجدناها من التكرور ﴾

(قال ابن سعيد) ومدينة بريسا من اشهر بلاد التكرور وهي على شمالي نيل غانه ولا يوجد بها الخبز الا طرفة عند ملوكها والابنوس عندهم كثير وفي ديارهم شجر القطن

﴿ كوكو الظاهر انها لا تقبل التصحيف وهي مكتوبة ﴾
﴿ في الكتب بكافين وواوين قاعدة من بلد السودان ﴾

(قال ابن سعيد) وكوكو مقر صاحب تلك البلاد وهو كافر يقابل من غربيه مسلمي غانه ومن شرقيه مسلمي الكانم ولكوكو نهر منسوب اليها وهي في شرقي نهرها قال في القانون وكوكو واقفة بين خط الاستواء وبين اول الاقليم الاول قال فى العزيزي وعرض كوكو عشر قال وهم مسلمون

﴿ سفالة الزنج بالسين المهملة والفاء ثم الف ﴾
﴿ ولام وهاء في الآخر من بلاد الزنج ﴾

من القانون. وسفالة من الزنج واهلها مسلمون وهم جنوبي خط الاستواء والعرض المذكور جنوبي قال ابن سعيد واكثر معايشهم من الذهب والحديد ولباسهم جلود النمور وذكر المسعودي ان الزنج لا يعيش عندهم

الخيل فعسكرهم رجالة ويقاتلون على البقر اقول وسفالة ايضاً من الهند

﴿ بربرا الظاهر انها بفتح الباء الموحدة والراء المهملة ﴾
﴿ الساكنة ثم باء ثانية وراء ثانية ايضاً والف ﴾
﴿ في الآخر مقصورة قاعدة بلادهم ﴾

(قال ابن سعيد) ومدينة بربرًا قاعدة البرابر وقد اسلم اكثرهم فلذلك عدم رقيقهم في بلاد الاسلام

﴿ زغاوة ٠ الظاهر انها بالزاء والغين المعجمين ثم الف ﴾
﴿ وواو وهاء في الآخر من الزنج ﴾

(قال ابن سعيد) وقاعدة الزغاويين حيث الطول (نه) والعرض (نه) وقد اسلم اهلها ودخلوا في طاعة الكانمي وفي جنوبها مدينة زغاوه ومحلات الزغاويين والتاجوين ممتدة في المسافة التي على اعوجاج النيل وهم جنس واحد غير ان التاجوين احسن صورة وخلقاً من الزغاويين قال في العزيزي ومن دنقلة الى بلاد زغاوة في سمت الغرب عشرون مرحلة

﴿ دنقلة ٠ مدينة النوبه الظاهرانها بضم الدال ﴾
﴿ المهملة ونون ساكنة وقاف مضمومة ﴾
﴿ وفتح اللام ثم هاء في الآخر ﴾

(قال ابن سعيد) ودنقلة هي قاعدة النوبة وفي جنوبيها وغربيها محلات زنج النوبة الذين قاعدتهم كوشه خلف الخط والنوبة نصارى

وهي غربي دنقلة وشماليها مدنهم المذكورة في الكتب

✻ جرمي بالجيم المفتوحة والراء المهملة الساكنة ثم ميم ✻
✻ مكسورة وياء مثناة تحتية في الآخر كذا ✻
✻ وجدناها مضبوطة بخط ابن سعيد · قاعدة الحبشة ✻

وهي مدينة ذكرها اكثر المصنفين في كتب المسالك والممالك والاطوال والعروض وانها كرسي مملكة الحبشة وقاعدتهم

✻ مقدشو وانها في مزيل الارتياب مضبوطة بالشكل كذا بفتح ✻
✻ الميم وسكون القاف وكسر الدال المهملة وضم الشين ✻
✻ المعجمة وفي آخرها واو من الزنج الحبشة ✻

ومقدشو على بحر الهند واهلها مسلمون ولها نهرٌ عظيم يشبه نيل مصر في زيادته في الصيف وقد ذكر انه يخرج شقيقاً لنيل مصر من بحيرة كورا ويصب بالقرب من مقدشو في بحر الهند قال ابو المجد الموصلي في مزيل الإرتياب ومقدشو مدينة كبيرة بين الزنج والحبشة

✻ زيلع · الظاهر انها بفتح الزاي المعجمة وسكون الياء المثناة التحتية ✻
✻ وفتح اللام ثم عين مهملة في الآخر من فرض الحبشة ✻

(قال ابن سعيد) وزيلع مدينة مشهورة من مدن الحبشة واهلها مسلمون وهي على ركب من البحر وزيلع في الوطأة وحرها شديد وماؤها عذب من حفارات وليس لهم بساتين ولا يعرفون الفواكه وقال في

القانون وزيلع فرضة الحبشة نحو ارض اليمن وفيها مفاض وهي بين خط الاستواء وبين الاقليم الاول وعن بعض من رآها ان زيلع مدينة صغيرة نحو عيذاب في القدر وهي على الساحل وفيها شيوخ يحكمون بين اهلها وعندهم تنزل التجار ويضيفونهم ويبتاعون لهم

بلاد سحرتا عن بعضهم بالسين والحاء ثم راء مهملات وتاء مثناة فوقية ثم الف في الآخر ومنهم من يبدل الالف في هاء
بلاد مفردة بذاتها من عمل الحبشة

سحرته من اجناس الحبشة المشهورة

وفات وهي جبره ايضاً بالواو المفتوحة والفاء ثم الف وتاء مثناة فوقية في الآخر من بلاد الحبشة

عن بعض المسافرين اليها قال وفات ويقال لها جبرة ايضاً وهي من اكبر مدن الحبشة قال ومن زيلع اليها نحو عشرين مرحلة وعمارة وفات متفرقة دار الملك على تل والقلعة على تل وهي بعيدة عن البحر جداً وهي في جهة الغرب عن زيلع وبها الموز وقصب السكر واهلها مسلمون وهي على نشز من الارض ولها واد فيه نهر صغير وتمطر في الليل مطراً كثيراً

